

مطراينة ملوى وانصتا والاشمونين

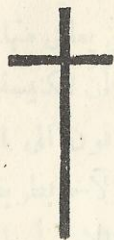


الجسد والجنس

من منظار مسيحي

كوستي بندلي

هَيَّاتَانِيَّة مَلَوِي وَأَيْصِنَا وَالْأَشِيمُونِيَّة



الجِسْر
وَالجِنْس

الطبعة الثالثة

كوستي بندلي

مقدمة

هذا الكتيب الذي بين يديك عمل نافع للشباب . لأن قضية
الجناس والجسد والحب من أصعب الأمور التي يعاني منها شبابنا
ويعالجها البعض بطريقة غير روحية مدعين أن الكنيسة يلزمها
أن تتطور مع اتجاهات العصر السائدة فينصرفون الى الإباحية
ويبتعدون عن الوفاق المسيحي، ويعالجها البعض الآخر بطريقة مزهمة
مدعين ان أفضل وسيلة للواجهة هي إحتقار الامر أو إهماله ..
أما المفكر الروحي الأخ العزيز الأستاذ كوستى بندلي فهو
إنسان ملهم أعطاه الله بهيرة روحية جعلته يكتب لهذا العصر
بأسلوب يتميز بالعمق والافتتاح ، بالروحانية غير الوعظية
والإفادة من معطيات العلوم الانسانية وبالإخص علم النفس
الذي تخصص فيه وبرز كدارس متعمق . وقد حرصت على أن
أركز أهم مبادئ الكاتب - بقدر ما سمعتني قدراتي المحدودة - في
صفحات قليلة لتكون خاتمة للمحاضرتين اللتين ألقاهما الأستاذ
كوستى في القاهرة والاسكندرية في الصيف الماضي . له السلام
يبارك اخانا العزيز ويبارك كل إنتاجه ويبارك كل عمل وكل
خدمة لمجد اسمه العظيم القدوس أمين .

الأبنا

المحاضرة الأولى

المسيحية والجنس

[أقيمت في رابطة للقدس

بالقجالة بالقاهرة مساء

الثلاثاء ١٩٧٢/٩/٥]

سأجتهد لأبين بعض الأفكار الرئيسية التي يدور حولها الكتاب
الذي وضعت مؤخرًا عن الجنس ومعناه الإنساني ، . موضوع
الجنس. مطروح بحدّة في أيامنا ، والآراء حوله متباينة ، فهناك
من ينادى بتحرير الجنس من كل قيد ، وهناك بالعكس من
يطلب إخضاعه للتقاليد باسم الأخلاق والفنيلة .

وينطلق الموقفان من افتراض مسبق واحد ، وهو
أن الجنس طاقة غريزية وحسب ، فيطالب البعض
باطلاقها على سجيتها ، ويطلب البعض الآخر بحصرها ضمن
الشرائع والتقاليد .

يحاول الكتاب إعادة النظر فيما يستند إليه الموقفان ، لأنه
يتساءل ، هل يصح اعتبار الجنس طاقة غريزية ليس إلا ؟ ويحاول
الكتاب الإجابة عن السؤال بشكل موضوعي ، بملاحظة واقع
الجنس للإنسان . كما يتضح هذا الواقع من خلال كتابات الذين
إنكبوا على الكتابة من علماء النفس والأدباء ، إستناداً للأبحاث

يتضح أن الجنس وإن كان أحد وجوهه حاجة غريزية ، إلا أنه يتخطى الغريزة إذ نجد له طابعا إنسانيا فريدا ، ليس هو مجرد إزالة توتر عضوي مثل الجوع والعطش لأنه مرتبط بعوامل نفسية تلعب دورا بالغ الأهمية ، والميل الجنسي لا يسعى لمجرد التناسل لأن الرغبة الجنسية عند الإنسان ليست مقيدة بأزمة الخصب مثل الحيوان .

فرادة الجنس عند الإنسان هو سعيه لتحقيق وحدة عميقة و لقاء صميمي ، بين شخصين من خلال جسديهما ، ويحس المرء بنشوة لأنه نجا من عزله ولا كتمل بالآخر . الجنس يجب أن يحقق التداخل الصميمي بين كائنين . تلك الصلة العميقة يعبر عنها في اللغة كجماع ، ووصال . الجماع لا يتم إلا بين شخص وشخص . هذا هو الفرق بين الجنس والجوع . الجوع يدفعني إلى الاستيلاء على شيء ، واستملاكه ، كي أسد به رمقي ، أما الميل الجنسي فيدعوني للانصال بشخص لا يجو من عزائي . ولكن الجنس مهدد أبدأ بالانحراف الآخر ، وهو استعمال الآخر كشهوة لإزالة توتر وبلوغ لذة ويغيب كشخص ، ويصبح مجرد جسد يستمتع به لا كائنا فريدا بحد ذاته يلاقي من خلال الجسد .

موقف الجماعون ينظر الآخر كمجرد مصدر لذة ، ولا يهمه من الآخر سوى اللذة التي يجنيها منه وحسب فإذا ما أروى غليله منه ، سعى لجسد آخر يحدد به لذته وهكذا .

إن سعى الما جن بحوله درن رؤيته لفرادة الشخص الآخر، ولا يرى
في الآخر سوى أجسادا قابلة للتبادل مثل تبادل لفافات الفاكهة ،
وفاكهة تستبدل بفاكهة أخرى. وهو لا يسوء الآخر فحسب ، بتجريد
من صفته الشخصية وأنحداره لمستوى الأشياء بل يسوء الما جن نفسه ،
ذلك أن أمنية الجنس ، هي اللقاء الصميمي والتلاحم بين شخص
وشخص لكن الما جن لا يلاقى أحداً من تعدد الاجساد، ولا يصادف
سوى لذته . لا يتعشق سوى ذاته ويبقى أسير عزلته ، وشعور
بالفراغ والتهالك على اللذة يحدر بها ذاته ، وهذا يدفعه
للتهالك على اللذة فيتنجذب في دوامة ، ساعيا وراء مراب سعادة
لن يبلغها لأنه يطالبها في غير موضعها .

الما جن ليس هو فئة معينة بل تلك النزعة إلى المجون كأمينة
في كل منا . الما جن يفشل في السعادة التي بصحلوها الإنسان من خلال
الجنس لأنه يبتز الجنس من بعده الإنساني في اللذائ ، بأخر . الما جن
يفرط في استعمال الجنس مع أنه بالعكس مقصر فيه . لأنه لا يذهب
فيه لنهاية المطاف للمرمى البعيد ، وما الا كثمار الكوى عنده سوى ،
تعويض للدقص الفادح في ممارسته ، شأنه شأن من يحاول علاج
جزعه النفسي بانهم في الأطمعة .

يتضح لنا أن الجنس لا يبلغ غايته الإنسانية إلا إذا تجاوز

بمجرد السعى للذة مغلقة فأصبح سعيا إلى الآخر ، من حيث هو
آخر ، أى من حيث أنه هو مهم فى حده ذاته ، من حيث هو كائن
فريد ، ليس بمجرد جسد قابل للتبادل بجسد آخر . بمعنى آخر ،
الجنس لا يكتمل إلا إذا أصبح حبا . ليس بالمعنى الذى يعطيه
حب الماجن الذى يقول أنى أحب مثل من يقول أنى أحب فاكهة
معينة قاصدين الشهوة لإستهلاكها لنلطف بها أفواها الحب الذى
به يكتمل الجنس هو أن يعتبر كل من المحبين أن لذة الآخر وسعادته
وخيره مهم كلذته وسعادته وخيره ، هو ، والمحبوب كائن فريد
غير قابل للتبادل مع كائن آخر ، عند ذاك يخرج كل منهما من
عزله ، فيكتشف الآخر كغاية وليس كمجرد وسيلة . وعند ذلك
يكتشف كمشخص تقوم معه علاقة من شخص آخر ، واللقاء
الجنسى لا يصبح لقاء عزليين متقابلتين بل لقاء بالمقل ، جماعا ،
ووصالا بالحقيقة ولا تغلق اللذة بل تتخذ كل أبعادها فتصبح لقاء
فى اللذة وتتحول إلى سعادة .

هذا الحب الذى يجمع بين شخصين ، لا يستقيم إلا إذا كان
فريدا ، لأن الشخص فريد ، ومستمر فى الزمن لأن الشخص
ذو بعد زمنى ، فالحب فى إنطلاقته يصبو للوحدانية أى أن المحب
يصبو لمحبوته فىقول لها لانى لن أحب سواك (الفرادة)

أبدأ (البعد الزماني) . الإنطلاق لا يتم إلا بالإرادة لأن الشعور
 يعلو ويهبط ، لذا فالحب الاصيل ليس تلاطماً بين شعورين بل لقاء
 شخصين على كل الأصعدة : حسي وشعوري وروحي وعقلي .
 هذا اللقاء يكرسه وعد يجعله بئامن من تقلبات الشعور يلتزم به
 كل من المحبين بكيانه كله تجاه الآخر . وما الزواج بمفهومه
 الاصيل ، سوى إعلان هذا الوعد احتفالياً أمام المجتمع ، مما
 يجعله أكثر رسوخاً . قيمة الزواج الأساسية ليس في كونه عقداً
 اجتماعياً بل في كونه تكريساً لهذا الوعد الذي يتعهد به المحبان ،
 أن يلتزما طريق الحب . هذا يعني أن عقد الزواج ليس غاية
 بحد ذاته بل هو مجرد الإطار الذي فيه يعاش الحب ويفنئى أبدأ
 ويزداد أصالة وعمقاً باجتيازه خبرة الحياة ، والامانة الزوجية
 الحقة لا يمكن أن تكون نتيجة عقد اجتماعي وحسب . لا يمكن
 لهذا العقد أن يحمي وعد المحبين إلا إذا اقترن بفعل مستمر من
 كليهما . فعل يحافظان به على الحب وينميانه . والحب خلق مستمر ،
 كما قال أحد كبار علماء النفس المعاصرين .

أما إذا استكان الزوجان لعقد الزواج . واعتبر الزوجان الزواج
 صك ملكية فهما بذلك يجعلان منه مقبرة للحب كما هو الحال
 في كثير من الأحيان . الزواج حب معطاء يعطى على قدر

ها يأخذ لابل أكثر مما يأخذ ، الحب يفترض نضوجا على
الصعيد بين النفسى والروحى ، فعلى الصعيد النفسى ، يستعرض
الكتاب مستنداً لمعطيات التحليل النفسى المعاصر ، مراحل
المسيرة التى تقود الكائن عبر مراحل حياته ، من إستيلائيه
الطفولة ، التى فيها ينظر للآخر من خلال حاجته الخاصة ، الى
معطائية الراشد بالفعل الذى يهتم بالآخر لاجل شخصه . يمكننا
ان نفهم المبنى الحقيقى للعفة ، هذه الفضيلة التى كثيرا ما شوهت
كماشوه الجنس والجمه ، حتى أصبحت مرادفة للعجز والخوف .
يبين الكتاب أن الخوف من الجنس ، والتهرب من مواجهته ،
وإخضاعه للأوامر والنواهى التى يفرضها المجتمع والدين هو
تزييف للعفة ، فالعفيف هو من لا يخاف الجنس ويتعمده بوعى
ومسئولية مرجها لإباد بقاعة فى خط الحب ، العفيف حقا هو
من يحرص على إعطاء الجنس كل أبعاده بممارسته فى خط الحب
وفى الحب فقط ، عفة كمنه يمد لها منذ الطفولة بتربية مبنيّة ليس
على قمع بل على تهذيبها وتوجيهها وليس على تجاهل تساؤلات
الطفل بل مواجهتها فى بساطة وصرامة .

الباب الأخير في الكتاب يتحدث عن « آفاق الجنس » ،
يبين أستنادا على خبرة البشر عبر العصور قديما وحديثا -
الخبرة ، التي عبرت عنها الأديان والآثار ، أن الجنس يسعى
لمعاداة مطلقة تظهر بشكل حاد في استقطاب مطلق للانسان ؛
كما قال أفلاطون وردد من بعده الفيلسوف برديف ، أن العشق
هو إشتهاء الأبدية ، هذا ما أضفى على الجنس طابعا قدسيا كرسنه
الأديان القديمة وعاد في هذه الأيام عند الهيبين . من خلال
الجنس يصير الانسان إلى التالية ، يحاول إستعادة الفردوس
المفقود . ولكن عبثا يحاول لأنه يعود في تلك الحالات خائبا
إذ يصطدم بمحدودية الكيانية . المطلق لا يبلغ بالجنس وإن
كانت كل خبرة صميمية تهيمه له . لا يبلغ المطلق إلا إذا هو
أنحدر إلينا ، هنا يترك الكلام للإيمان . فالمسيحي يؤمن بأن
المطلق أتى إلينا في شخص يسوع المسيح ورفعنا إليه كما ورد
الإباء « لقد صار الله انسانا ليصير الانسان الهاء . بالمسيح يصبح
الله حاضرا في الاتحاد الزوجي ، هذا معنى سر الزواج ،
أن المسيح حاضر في الزواج ليزرع في صميم الجنس بذور
الأبدية ، هكذا يتاح الحياة في الجنس في خط الماسكوت حتى
القبالة ، إذ يتحرر بها الجنس من الغريزة والشهوة ليحقق مرماه
البعيد في اتحاد الله بالبشر والبشر بعضهم ببعض . من المؤمنين

من يجتهد أن يعيش من الآن في حياة القيامة ، وكثيرون يشتهون
الحياة الفردوسية من الآن وذلك بالتمنيّة المكرسة ينتنعون عن
الجنس ، لا خوفاً ، ولكن لأنهم يصبون إلى مرماة البعيد ،
إلى تحقيق الأبدية هنا . إنهم لا يتزوجون لا لكي ينظرون على
أنفسهم بل لكي تقاوج نفوسهم بمحبة الله وليحصنوا بحبهم غير
المحدود هموم البشر ومشاكلهم وآلامهم .

أسئلة :

س : نسمع في بعض سير القديسين عن الزواج والبقاء بعد ذلك
كعلاقة اخ وأخت .. ما رأيكم ؟

ج : أعتقد أنه لا حب زوجي بدون كل عناصره ، وعنصر
أساسي هو عنصر الجنس . فهذا زواج غير مكتمل ،
قد تكون هناك دوافع روحية ولكن زواج مثل هذا ينقصه
عنصر الجنس هو غير مكتمل .

س : ما هي الطريقة السليمة للحب قبل الزواج ؟

ج : هي أن يتمهد كلا الشخصين للآخر تمهداً نهائياً ، ليس تمهداً
عابراً ، بمعنى أنه لم يقبل به كـ شخص فريد إلى أن يتوى منه

معتبراً أنه يمكن استبداله بشخص آخر .

الزواج هو أن يعلن أمام الملة أن كلا من هذين الشخصين
يتعهد الآخر نهائياً ؛ إذن قبل أن يقرر كل من الزوجين
أن يتعهد الآخر نهائياً ، لا يمكن أن يكون حبا مكتملا .
العلامات الجسدية معبرة عن الحب . ربما لا تكتمل حب ولم
يتزوجا . لماذا؟ لأن الزواج إعلان أمام الملة بأن كلاهما قد
تعهد الآخر نهائياً .

من متطلبات الحب أن ينتظر المحبان الزواج ؛ وفترة
الخطوبة هي فترة إختبار للحب ، لا يكتمل بعد فتعايره
يجب أن تبقى غير مكتملة . يمكن وجود تعابين غالب عليها
الحنان وليس عنصر الشهوة قبل الزواج لكي يتجمع
ويكتمل الحب ، أما في الزواج فعلى المرء أن يحافظ على
الحب بأن يحافظ على هراة الآخر؛ ومظهر آخر هو الايتحول
الزواج لمجرد طلب اللذة أو مجرد عملية روتينية بل تعبير
عن الحب واللقاء .

س: إذا كان الزواج هو مجرد إعلان للالتزام فما أهمية
السر إذن ؟

ج : الكتاب ليس للمسيحيين فقط بل لكل انسان يؤمن
 بالقيم الإنسانية . الفريدة المسيحية تظهر في الفصل الأخير
 فقط . الأخلاق المسيحية هي الأخلاق الإنسانية الأصلية .
 المسيحي هو من كان انسانا، لذا لم أنعرض لسر الزواج .
 إننا كان الزواج إعلان الوعد أمام المجتمع ، فبالنسبة للمؤمن
 لا يابق فقط أمام المجتمع المدني بل أمام المجتمع الروحي ،
 لأن المؤمن لا يفصل نفسه عن الكنيسة ، بل يعلن تعهد
 أمامها ، سر الزواج يمد الزواج بعناصر الهية إذ يجعل
 المسيح حاضرا في الزواج بل يجعله مطهرا ومنقيا لهذا الحب .
 سر الزواج هو طريقة لزرع النعمة الإلهية في قلب الواقع
 البشرى ليعود الحب لأصله الإلهي فيصبح على شكل حب
 المسيح للكنيسة .

س : ألا تعتقد أنه كلام نظري عن الحب . . كيف يمكن تحويله
 لتطبيق عملي ؟

ج : الحب كما حددته ، هو واقع عملي ، ولإني أطلب أن
 ترجعوا لضمايركم ، إن لم يكن في حياتكم لحظة يكتشف فيها
 الإنسان الحب كما قلته . أنا أؤكد - والتحقيقات العلمية تؤكد -
 أن الشباب المعاصر حتى في الغرب يعرف الحب بهذا المعنى .

ان الاخر مهم في حد ذاته ، ولكن لسوء الحظ واقع الزواج يرثى له إذ يقال بأنه ليس سوى ١٠٪ من الزيجات ناجحة ونسبة كبيرة من الزيجات تتحول إلى الانفصام قبل - وأصبح الزوجان يعيشان أحدهما بجانب الآخر . ولكن الـ ١٠ في المائة هذه الناجحة تشهد بأن الحب كما عرضه هو شيء واقع .

س: هل مفهوم العفة يعنى قمع الغرائز ؟

ج : أنا لا أؤمن بالقمع لأنه عملية سلبية ، لأنه بحد ذاته كل قمع قريب من السكبت ، مجرد موقف سلبي من الغريزة . هذا لا يكفي ... هناك عنصر لا بد منه : جموح الغريزة ، نزعتها الانانية الإستملاك .. يعترضه عنصر قمع .. وهو عنصر ليس إلا ، قصده توجيه الغريزة لتحقيق الهدف . الإنسان هو الحيوان الغريب الذي فيه يتجاوز نفسه بغرائزه . الطريقة الفضلى هي عدم الإكتفاء بمجرد محاربة الغرائز بل التأكيد على تهذيب الغرائز لتصبح الغريزة منسجمة مع هدف اللقاء بالآخر . بنظري العفيف الذي يعتقد أن يرى امرأة فلا يرى سوى جسد فيهرب منه هو مثل الماجن تماما على نفس المستوى لأنه لا يرى فيها سوى جسد ، فالماجن يستغل هذا الجسد ؛ أما هو فيهرب منه . العفيف ينظر

للمرأة كشخص إنسانى .. انسان مثله ؛ عندما يصل
لذلك تكون عفته قد اكتملت .

س : ما رأيكم فى قول الرسول بولس ، أقمع جسدى
وأستعبده ، ؟

ج : الجسد فى الكتاب ، وكلمات بولس ، ليس هو البدن ؛
الجسد البيولوجى ليس الجسد بحد ذاته . الجسد الذى
يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد ، هو
هذه النزعة عند الانسان . الجسد يعنى الانسان ككل .
ليس فى الكتاب المقدس الفكرة الاغريقية التى تفصل بين
الروح والجسد . الفكر الكتابى ينظر الى الإنسان
كروح وجسد . الفكر التوحيدى وبولس الرسول يعنى
النزعة فى الكيان البشرى ككل بنفسه وجسده الى الإنفلاق
والنقوف . أى أن النزعة الانانية الكامنة فى صميم الانسان
هل التى تقمع .

س : لماذا يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس وأما الشهوات
الشبابية فاهرب منها ، ؟

ج : الشاب تحديدأ هو بمعنى المراهق من لم يبلغ بعد هذا النضج الكامل الذي ينظر للآخر كغاية وليس كوسيلة . الشاب ينزع إلى اعتبار الآخر كوسيلة لكي يحس بأحاسيس ومشاعر تسره ، يعني منها نشوة . الآخر هو مجرد واسطة للشاعر والأحاسيس ، الآخر ملهاذ ، الشهوة عنده ليست حباً لشخص بل ملهاة ، الآخر لا شريكاً بل لهوا . بهذا المعنى يجب ان يتمتع المرء عن الشهوات . يطورها لتصبح حباً ، لا لتزول بل لتمتخطى ذاتها وتتحول إلى حب . النضج العاطفي عند المراهق هو عندما يستطيع أن يجمع في ذاته الشهوة وانسان ويركزهما على شخص واحد .

س : ما معنى ان العفة المكرسة تجاور للحدودية في الحب ؟

ج : العفة المكرسة هي السعي لتحرير الحب من كل محدودية لانه في حب الزواج يكون مشغولاً الى حد بعيد بالحصر والملكية . زوجتي وأولادي وأنا أنحصر في هذه الدائرة رغم أن الزواج هو ليتجاوز الانسان ذاته وليوسع حبه وليكن في الزواج السعي للحصر والتحديد . العفيف المكرس هو يتجاوز الحدود ويعمل لمرتبة ملائكية . لا يهرب من الحب . . التكريس الذي هو هرب من الحب لا يعتبر

تكرسا حقيقيا ، أما لتكريس الحقيقة فهو تحرر الحب
من كل محدودية والوصول اليه من كل حدوده .
س: كيف أن الحب موصل للأبدية ؟

ج : نحن نعلم أن الله محبة ، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله
والله فيه أن كان الله محبة . ينتج عن ذلك أن كل الحب
الانسانى الاصيل هو من الله ينبع ، ويتجه في النهاية إلى الله .
الحب يطلب السعادة المطلقة والكمال المطلق الذى لا يتم إلا فى
الله حب الصداقة .. الوالدين والاولاد . كل حب لما ينطلق
من الله واليه يذهب ، الحب مرتبط بالأبدية الحب الجنسى
شدت عليه لأنه أقوى شكل من أشكال الحب عند الانسان
لأنه يجمع الانسان بكل كيانه ، بعقله وبجسده وبروحه
وعواطفه وأفكاره و ارادته ، كل ذلك يجتمع فى الحب
المدعو جنسى إذا كان حبا أصيلا . الحب الجنسى هو أوى
شكل من أشكال الحب وهو بشكل خاص مرتبط بالأبدية .
الكتاب المقدس لما اراد التعبير عن حب الله لشعبه فى
هوشع ، نشيد الأناشيد ، الأناجيل ، ورؤيا يوحنا ، أفضل
صورة يعبر بها الله عن إتحاده بالناس هى صورة الحب

الزوجي ، وهو ما يدل على ارتباط الحب بالابدية ، وبقدر
ما يكون المسيح حاضرا في الحب بالصلاة .

س : من أحب ابا أو أما . . أو زوجة أو اولادا اكثر مني
فلا يستحقني ، كيف نوفق بين قواكم وحبنا لله ؟

ج : عندما نحب ابا أو أما أكثر من يسوع هذا لا يعني أننا
لا نحب الله لأنه ليست محبة إلا في الله والله وحده يعرف
كيف نحب . . ونحن لا نعرف الحب إلا إذا ما أحببنا
الله . أما قول المسيح فهو لمن يحب ذاته من خلاهم ولكن
يسوع يفهمنا أن هناك تكاملا بين حبه وحب الناس .

س : كيف يتم توجيه الغرائز والطاقة الجنسية توجيهها سليما ؟

ج : تهذيب الغريزة الجنسية يكون بأن تسخر الغريزة للحب
كيف يمكن أن يتم ذلك عمليا ؟ أعتقد أن المهم هو أن يستعد
الإنسان للحب ، لأنه ليس سوى أن الآخر مهم بالنسبة
للإنسان ، بل يجب أن يتميها له الانسان . أن نسعى ونعرف
مشاعر الآخرين ، كل ما يجعل الآخر مهما لنا . الطالب
الذي في المدرسة لا يعلم الإهتمامات والمشاكل عند
كل مهنة . كل طالب يسأل نفسه هل أنا أعرف رفاقي ؟ هل

أعرف الأشياء التي تهذبهم . عندها يبدأ فعلها جس الآخر وهو الذي يجب أن يبدأ من الطهولة ، هنا توجيه للدفة والجنس بصورة غير مباشرة . توجد أنماط أخرى كما قال فرويد أن نتسامى ونصعد . . الطاقة الكامنة في الغريزة تستعمل في عدة أهداف أخرى ، تتحول عن غاية الجنس ، لأنها طاقة مرنة لحد بعيد . . مثل مسابقات رياضية أو عقلية أو فنية أو اجتماعية . . علاقات مع الناس ، جهاد في سبيل مجتمع أفضل ، يجب أن يكون لدى الإنسان اهتمامات حضارية كثيرة وهو ما يساعده على تهذيب الغرائز .

س : ما هو الفارق بين الحب والشهوة ؟

ج : أكيد . قد تستر الشهوة وراء الحب وقد يكون الأمر ويقود التستر إلى زواج يكون مبنيا على الشهوة خاصة ، ويعتقد لزوجان أنه مبنى على الحب . وبعد فترة من الزمن يفشل الزواج لأن الشهوة تتروى وعند ذلك يكتشف الزوجان ، أو أحدهما ، أنه لم يكن في حب للآخر . من الصعب إعطاء مقاييس عامة للتفريق بين الحب والشهوة . خاصة أن الحب لا ينفى الشهوة ، بل يتخطاها . السؤال هو إلى أي حد تم التخطي ، أو لم يتم ، كل إنسان يجب أن

يكون واعيا وصریحا، ريكشف هو علامات أن حبه تسيطر عليه الشهوة أم لا . إذا أحب فتاة ، يتساءل وقت تفكيره فیم يفكر فيها ، كيف يفكر . إذا كان وقت تفكيره لا يجد سوى جسد يجب أن يقتنع بأن حبه حب غير صحيح ، لكنه حب مزيف . ينبغي للانسان أن يكون صريحا مع نفسه حتى لا يخدع نفسه . ومن ناحية أخرى فإن الحب في أول عهده ، يلعب فيه عنصر الشهوة دورا مفرطا حتى في أحسن الاحتمالات وهنا يجيء دور الزواج حيث هو بداية للتحرير من طغيان الشهوة ، أكثر فأكثر . في الحياة الزوجية يكتشف الزوجان أن اللقاء الجنسي مفرح كلما تخطيا طغيان الشهوة .

س: كيف يختار الإنسان الأعزب الفتاة التي نلائمه ليكون بينهما

زواج على أساس سليم ؟
ج: عن مقومات الحب قلنا أنه لكي يكون مكتملا يشمل عدة أصدقاء : الصعيد الحسي ، أي أن توجد جاذبية حسية متبادلة ، جزء مهم منه . ناحية أخرى ، التجاوب العاطفي أي أن ترتاح عاطفته الآخر ، ويرتاح لوجوده . عنصر فكري بمعنى أن يكون هناك أفكار متشابهة ، أفكار مشتركة بين الشخصين والتبادل على صعيد الأفكار . الصعيد الروحي . المبادئ المشتركة والظرة المشتركة للحياة .

المحاضرة الثانية

الجسد والجنس

[أقيمت بمسرح العجمي]

بالإسكندرية مساء الأربعاء

[١٩٧٢/٩/٦]

أولاً : المفهوم الحديث للجسد

لابد لي أن أبدأ حديثي بالتنويه بالمفهوم الذى يتخذه الجسد فى الفكر الحديث . ذلك المفهوم بعيد كما يبدو لي ، عن كل من موقفين متناقضين طالما تجاذبا الفكر الفلسفى ، ألا وهما الثنائية من جهة والأحادية من جهة أخرى . فالمنظار الثنائى الذى تميزت به الأفلاطونية وجدده ديكرت ، كان يفصم بين الجسد والنفس جاعلا منهما كيانين مستقلين مع أنهما متعايشان ، أما المنظار الأحادى فكثيراً ما إدعى بلسان فلاسفة القرن الثامن عشر مثلاً ، أن النفس إنما هى مجرد مظهر من مظاهر الجسد . .

أما الفكر الحديث فإنه ، حتى فى التيارات المادية منه ، يتذكر لذلك الخلط بين الصعيد البيولوجى والصعيد النفسى فى

الإنسان ، فيقول الفكر المادى جاك مونو مثلا الحاصل على
 جائزة نوبل فى البيولوجيا فى كتابه الشهير « الصدفة والضرورة »
 أن مفهوم الدماغ ومفهوم النفس لا يتخلطان فى خبرتنا الحالية
 بمقدار عدم اختلاطهما فى نظر رجال القرن السابع عشر . .
 وليكن الفكر الحديث ، من جهة أخرى ، وحتى فى تياراته
 الروحانية ، يتذكر الانفصام الذى طالما ندده بين الصعيدين
 المذكورين ، بل يشدد على وحدة الكيان الانسانى ، ووحدة
 الروح المتجسدة . . أو الجسد المروحن ، ووحدة لا اختلاط
 فيها ولا انفصام . .

. . فما هى - والحالة هذه - نظرة الفكر الحديث إلى الجسد؟

لقد بين الفيلسوف المعاصر « مالرو بونتى » فى كتابه « ظواهرية
 الإدراك الحسى » أن الجسد الذى نختبره فى وجودنا الراهن ،
 أو بعبارة أخرى الجسد المعاش ، يختلف عن ذلك الكيان
 البيولوجى البحت الذى يدرسه الطبيب أو عالم الأحياء ، والذى
 إن هو إلا مجموعة أعضاء ووظائف متناسقة ، هذا الكيان

البيولوجى المحض هو وليد التجريد الذى يقطع بموجبه كل علم
 دائرة اختصاصه فاصلاً إياه عما قد يرتبط به صميمياً فى الواقع
 الراهن . . . عالم الأحياء بداعى اختصاصه مضطراً أن ينظر إلى
 الجسد كما إلى مجموعة أعضاء ووظائف . . . ولكنه يختبر جسده
 وجسد الآخرين على وجه آخر فيحسه ارتباطاً فى الصميم بالوجود
 الإنسانى كله إرتباط الأصوات التنظيمية بالمعاني التى تحمها . . .
 هكذا فالجسد الذى نعيشه لا ينحصر فيما يصوره لنا علم التشريح
 أو علم النفسى لوجياً ، إنما يظهر على أنه المسكن الحسى الذى
 يتأصل منه الشخص ويصبح به حاضراً وعاملاً فى الكون وبين
 الآخرين . بهذا المعنى يقول آبل جانير فى كتابه (أنتروبولوجيا
 جنسية) و جسدى ليس شيئاً ، إنما هو وضع ، لأنه بالفعل
 وضعى الراهن ، الحسى ، فى الكون ، وضعى فى الزمان والمكان
 فى هذه أو تلك من الظروف البيولوجية والجغرافية والتاريخية .
 لأننى هذا الوضع بمعنى من المعانى إذ لا يسعنى أن أنجرد منه ،
 ولكننى بأن متميز عنه لأنه يسعنى أن أعيشه وأنعمده ،
 وأطوره . . .

فإذا فهمنا الجسد على هذا المنوال . أى على أنه وضع

الشخص الراهن في الكون وبين الآخرين أصبحت عبارة الجسد مرادفة - كما في لغة الكتاب المقدس (مثلاً عندما يقول : سبعاين كل جسد خلاص الله أش . ٤٠ : ٢٥ ، لوقا ٣ : ٦) - لواقع حياتنا الملوس بكل ما في هذا الواقع من أبعاد بيولوجية ونفسية واجتماعية ووحية تتفاعل معا في وحدة كيانية صميمية تلك الوحدة التي تفرض ذاتها لا على العكس الحديث وحسب بل على الطب المعاصر أيضاً إذ أنه يؤكد نزعة النفس المتزايدة ، على التداخل والتفاعل الصميمين بين العوامل البيولوجية من جهة والعوامل النفسية من جهة أخرى .

ثانياً : ارتباط الجنس بالجسد

الجنس مرتكز في الجسم البيولوجي ، ولكنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجسد بمفهومه العام ويتأثر به .

(١) ارتباط الجنس بالجسم البيولوجي :

الجسم البيولوجي يحمل طابع الجنس في تكوينه العام . فالذكر والانثى لا يختلفان فقط من جهة أعضائها التناسلية بل بكل تلك

الميزات التشريحية التي تدعى صفات جنسية ثانوية والتي تطبع
 تركيب الجسم ككل . لا بل أن ارتباط الجنس بالجسد البيولوجي
 بشكل أعمق في كون خلايا الجسم كلها حاملة لطابع الجنس في
 بذية نواتها . ففي نواة كل خلية من خلايا الذكر الانساني
 يوجد به كما هو معلوم ٢٢ زوجاً من الصبغيات تضاف اليها
 صبغيتان جنسيتان مختلفتان أحدهما عن الاخرى X ، Y بينما
 يوجد في خلايا الانثى الانسانية ٢٢ زوجاً من الصبغيات يضاف
 اليها صبغيتان جنسيتان متشابهتان X ، X . أضف الى ذلك أن
 الجنس مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعوامل هرمونية وخاصة بما تفرزه
 الغدد الجنسية في الدم من هرمونات تؤثر الى حد بعيد على أوان نضج
 الجنس ومدى حيويته وسر وظائفه المتخلفة كما أنها بتأثيرها على
 المراكز العصبية القائمة في أسفل الدماغ وخاصة الهيبوثالامس
 ومسيخ الأنف توظف الاحاميس الجنسية وتدفع الى السلوك
 الجنسي .

وهكذا فالجنس يحدد مرتكزه في التكوين البيولوجي نفسه ،
 ليس الاعضاء التناسلية وحسب بل في تركيب الخلايا وبنية الجسد
 والإفرازات الهرمونية وتحسس المراكز العصبية لها . ولكن

ارتباطه لا ينحصر بتلك العوامل البيولوجية إنما يتعداها الى
ارتباط بالجسد ككل. بالجسد بمعناه الواسع الذي أشرنا اليه

(٢) ارتباط الجنس بالجسد ككل :

الجنس مرتبط بالجسد ككل، أى بواقع الحياة البشرية المحسوس
لأنه يؤثر فيه عميقاً ويتأثر به مقابل ذلك تأثيراً بالغاً .

فمن جهة لا بد من الإشارة إلى أن للجنس دوراً محورياً فى
واقعنا الراهن دوراً يتعدى الممارسة الجنسية بمعناها المحصور رغم
أهميتها فى حياة الانسان . ذلك أن الطابع الجنسى الذى رأيناه
يطبع التكوين البيولوجى حتى فى أدق عناصره يتجسد هذا
التكوين ليضمحل فى خلاله السلوك الانسانى بجماله . هناك نمط
وجود وأساليب تصرف يتميز به الانسان سواء على صعيد الفكر
أو على صعيد الشعور أو على صعيد المواقف والعمل . وبعبارة
أخرى فهناك وجود رجولى ووجود أنثوى يختلفان ليس بتأثير
العوامل الاجتماعية وحسب رغم أهميتها البالغة، بل بتأثير العوامل
الجنسية أيضاً، وليس بمعناه التناسلى المحصور (وفد أكد فرويد على
هذا التمييز ولا يمكن لم يحسن دوماً فهمه) بل بمعناه العام كغريزة
حياة إذ هو حاضر وفاعل كمحرك للنشاطات البشرية قاطبة فى

جذبيته وتوافقية واجتماعيته وفكرية وروحانية وبنية .

إذا كان الجنس طابعاً - كما رأينا - للكيان البشري بكميته ، فانه بدوره يتأثر به تأثيراً عميقاً ، فالجنس عند الانسان وان كان يرتكز الى عوامل بيولوجية الا انه يحمل طابع الشخص ككل .
انه - كما قيل - ليس جنساً بيولوجياً وحسب ، بل جنساً نفسياً أو بعبارة أصح نفسياً اجتماعياً . فالعوامل النفسية والاجتماعية تمين الى حد بعيد مصدر الجنس عند الانسان ، هذا ما نثبتته ملاحظات علمية عديدة : منها أن الميل الجنسي عند الانسان متحرر الى حد بعيد من الايقاع الهارموني الذي يتحكم في الحيوان ، وبما يؤكد ذلك أن الرغبة الجنسية عند الانثى الانسانية غير مقيدة بأزمة الخصب ، كما هي الحال عامة عند انثى الحيوان ، بل قد تكون حادة في حقبات عقم سواء في الدورة الشهرية أو أثناء الحمل أو في فترة الايامس (menopause) ، ومنها أيضاً أن الجنس العضوي لا ينسجم دائماً مع الجنس النفسى فقد تكون لذكر ميول أشوية والعكس بالعكس دون أن يكون لذلك في معظم الحالات أسباب عضوية تذكر كاضطراب في افراز الهرمونات الجنسية وما شاكل ذلك ، بل أسباب نفسية عائدة الى تاريخ الفرد ونوعية علاقته في فترة الطفولة .

ومنها أخيراً أن حالات العجز الجنسي عند الرجل والرودة الجنسية عند المرأة تعود ، في أثر الاحيان ، لا إلى خلل عضوي بل إلى اضطرابات نفسية متفاوتة العمق .

وهنا يمكننا القول أن السلوك الجنسي عند الانسان هو في ادق المقاييس لاتزانه ولانثراحه الشخصي وسلامة العلاقات النفسية التي تربط بالانسان الآخر بشكل عام .

وهكذا تظهر لنا دراسة الجنس بنوع خاص تلك الوحدة الكيانية (الجسدية) التي يتميز بها الجسد بمفهومه الوجودي العام ، تلك الوحدة ذات الأبعاد المختلفة المترابطة . في تلك الوحدة الجسدية الحية يشغل الجنس مركزاً موقفاً في رأينا ، لانه قاعدة للكيمان من جهة ومرآة له من جهة أخرى . لذا جاز لنا إذا تحدثنا عن الجسد بمفهومه الشامل أن ندعوه جسداً جنسياً بالنسبة لاهمية الجنس كمدخل حيويته ومعبر عنها .

(٣) موقف الجسد الجنسي من الوجود :

الجسد الجنسي قابل لإلتخاذ موقفين :

+ موقف الانغلاق :

حيث يكون الجسد منهمكاً بقضاء حاجياته الخاصة ليس إلا بإزائه التوترات النفسية التي تنشأ فيه ، فلا ينظر الى الكون

والآخرين الا من خلال هذه الحاجات . . هذا يعني ، على الصعيد
الجنس ، أن الاخر هو شيء يستملك أو يمتلك من أجل ازالة
توتر وبلوغ متعة ، دون إقامة وزن لشخصه ، بل اعتباره قابلا
للتبادل مع آخر بغيره بلوغ الاشباع عينه . جسد الآخر في هذا المنظار
يجرد من بعده الشخصى ، ويشيا ، وبالتالي يفرغ من غنى الحضور
الإنسانى الذى تجلى فيه لابل يتر هذا الجسد برده إلى إحدى
وظائفه وحصره فيها . . جسد الاخر هو فى نظر المجون عضو تناسبى
وما يمت إلى هذا العضو بصلة ، كما أن جسد الأم هو بالنسبة للطفل
الرضيع فى أول عمره ثديا ليس الآن موضوعا جزئيا كما يقول
المحللون النفسانيون .

+ موقف الانفتاح :

الذى يتخطى فيه الجسد حاجس ازالة توترات الذاتية ليصل
بما هو خارج عنه ، ويقيم علاقة حقيقية به تتعدى التملك
أو الإستهلاك . . همه — والحالة هذه — لأن برد الآخر
اليه ليذيبه فى ذاته كما تدمج الاطعمة بالجسد
الذى يستملكها بل أن يقيمه فى الوجود ، وأن يعترف بكيانه
المتميز المستقل وبالتالي أن يتجاوز ذاته للقائه . . عندئذ يصبح

الآخر لا شيئاً بل شخصاً فريداً. لا مجرد متعة بل شريكاً في المتعة،
 لا وسيلة بل غاية، لا ملهات بل مسئولية . . . عندئذ يتخذ جسد
 الآخر كل ابعاده ويصبح وكأنه حضور الشخص، هذا الحضور
 الذي يعبر عنه الوجه الانساني بشكل خاص في هذا القبيل. ينبغي
 أن نفهم تلك العبارة البليغة التي سمعت شخصاً ينقلها عن صديق له كان
 متمسكاً ثم اكتشف المرأة كشخص عندما أحب فقال: حتى
 الآن لم أكن أجد سوى أجساداً أما الآن فقد وجدت وجهاً.

هذان الموقفان يتجاذبان حتى الجسد الجنسي ويطبعمان بالتالي
 السلوك الجنسي بالالتباس . هناك تورقائم لا محالة بين عنصر
 الكثافة وعنصر الشفافية ، بين التوقع والمشاركة، بين الحاجة التي
 تفرق وتذيب كل شيء في الجسد الذاتي والرغبة التي تجمع دون
 اختلاط جسدين يتجاوز كل منهما ذاته في اتجاه الآخر. تغلب أحد
 هذين العنصرين المتواجدين على الآخر هذا ما يعين مصير المسعى
 الجنسي الإنساني .

(٤) فشل الجسد الجنسي المنزلق

فالجسد الجنسي عند الانسان إذا سعى إلى جسد جنسي آخر
 مقابل ومضاد له ، إنما يسعى في آخر المطاف ، إلى وحدة
 في التكامل . . هذه الوحدة الموجودة، ليست مجرد اتصال عضوين

متكاملين ، كما هو الحال عند الحيوان فهذا ليس بوحدة ، انما هو مجرد احتكاك خارجي . الوحدة المرجوة انما هي أعمق من بكثير . هي اتصال بين كيانين شخصيين من خلال أعضائهما .. ذلك أن الانسان وحده يعى ذاته ككائن متميز لذا فهو وحده شخص ، وبالتالي فهو وحده يحس بأن بعزائه وبرغبته في تخطي هذه العزلة بملافاة كائن آخر ولكن هذا اللقاء يفترض تخطياً للذات ، فالشيء لا يلاقى بالحقيقة وانما يستملك أو يمتلك ، مبقياً مستهلكاً ومالكة على عزائه . لذا فإذا انفلق الجسد الجنسي على حاجته ولذته ، ولم ينظر إلى الآخر الا من خلاهما ، فهو فاشل لا محالة في مسعاه وسائر نحو خيبة لا مناص منها ، خيبة تماش في الجسد أى أنها تصيب الخبرة الجنسية ككل .. الاستمتاع كما هو معلوم لا يعطى سوى لذة يكتبها الفراغ ، لأنه يسمى الى إزالة توتر بعزل عن الآخر الذي يقتصر حضوره على الخيال في أفضل الاحتمالات .. ولكن الكثير من الاتصالات الجنسية لا تنمى كونها نوعاً من الاستمتاع المزدوج . اذ يعتبر فيها أحد الشريكين أو كلاهما أن الآخر مجرد ذريعة للذته ، فيضاجع فيها المرء ذاته بالواقع على حد تعبير أدريه مارو وعندما تحدث عن أحد أبطال رواياته ، إنه سيستعشق ذاته كترجس الاسطورة ، فلا يخفى من ذلك

سوى لذة قد تكون حارة ولكنها سطحية لا تولد اشباعاً عميقاً وطمانينة وانشراحاً بل تخلف شعوراً بالفراغ يشير الفلتق ويدعو الى الإكثار من العمل الجنسي على الإكثار منه أو التفتن الآلى فى إتمامه بيسر حان ببلوغ السعادة المنشودة . ولكن هذه تبقى ، رابحاً يتوارى لأن الإكثار السكوى أو الإحكام التفتى فى العمل الجنسي عاجز عن التعويض عن النقص الفادح فى نوعيته ، عمل جرد من غايته العميقة ، غاية الوحدة والمشاركة . فالجسد ليس كما يعتقد الكثيرون مجرد آلة يكفى للمرء أن يكسرها فى أعمالها أو ان يحكم هذا الاستعمال ليجنى منها بصورة آلية أفضل لذة ممكنة إنما الجسد كما رأينا مرتبط بالشخص كسكل ، فنوعية اللذة عمقها وشموها وقدرتها على إسعاد الآخر ، كل ذلك مرتبط بموقف لا يعتبر الجسد مجرد آلة . إنما يعده فى أصالته الإنسانية كما كان يلاقى فيه حضور بشرى حضوراً بشرياً آخر .

(٥) الجسد الجنسي لا يبلغ غايته إلا بالمحب :

الإلتزام الحقيقى لا يتم إلا اذا تخطى جسدنا ، كما بذاته إلتاقى بالفعل جسداً آخر . وهذا التخطى يتجاوز الجسد محدوديته

ليتصل فعلا بالآخر. في هذا الوصال ليس مجرد لذة، إنما هو أبعده وأعرق
من ذلك سعادة في اللذة وغنى في الوجود واتصالا بالسكون وشهورا
بأن للحياة معنى، في اتصال كمذا يصبح الجسد أكثر من آلة لذة
تدور حول ذاتها في دوامة الفراغ، يصبح لغة يخاطب بها الآخر،
لغة أبلغ وأعمق من لغة الكلام يتكاتف بها الشمر يكتان ويتعارفان
صحيحاً حسب المعنى الكتابي لكلمة « معرفة » التي تشير في
الكتاب إلى إختبار وجداني للآخر. الحب يصبح شفافاً .
فيه ومن خلاله ينلني الشخصان حركات الجسد فنصبح حامله لمعان
روحية لأنها تصبح معبرة عن عطاء متبادل. ذلك هو الحب الذي
لا يضاف إلى الجسد في الخارج كتكملة له، أما هو الشرط الاساسي
لكي يحقق الجسد الجنسي سعديه وأمنيته. هناك لغوي أيا منا حول
ما يسمى « بالانسجام الجنسي » الذي يعتقد الكثيرون انه عملية
آلية في الاساس وان السبيل الى تأمنه هو بالتالي تعلم وممارسة
اساليب تقنية في الاتصال الجنسي تؤمن الاشباع للطرفين ومن ثم
يتناقضون ما يقوله أخصائيو علم الجنس في أيا منا بان الحب وما يفترضه
من اهتمام بالآخر ورغبته في إسعاده واطمئنانه ام هو العنصر
الاساسي من أجل بلوغ هذا الاشباع المتبادل وان اتقان
الاساليب الجسدية يصبح ذا جدوى إذا كان مستخرا لتخاطب
أفضل، لمشاركة أكثر صميمية إلا اذا تحول الى تقنية أنانية

تستغل الآخر ولكنها تعجز عن الاتصال به . يحمل الكلام أن الجنس
فشل إذا لم يتخطى الجسد ذاته بالحنان، أما إذا تحققت الوحدة
بملئها بين رجل وامرأة، فالجسد يهب مقابل ذلك سخاء ملوكياً .
ولقد أدرك ذلك لحسن الحظ . كثيرون من شباب عصرنا
في هذا الغرب الذي نتوهم غالباً أنه إباحي بجمليته . . . أو رد
على سبيل المثال نتائج استفتاء قامت به مؤسسة « SOFRES »
ونشرت نتائجه مجلة الاكسبريس الفرنسية في مطلع هذا العام .
استجوب في هذا الاستفتاء شباب تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٢٠
عاماً من مختلف فئات الشباب الفرنسي وقد لوحظ أن ٢٢٪ فقط
منهم يعتقدون أن شباباً في عمرهم يحسب لهم أن يمارسوا
علاقات جنسية دون حب ، الاكثريه ٤٢٪ لا تجبذ علاقات
في هذا النوع وان كانت تسمح بها، واذا كان ٢١٪ منهم فقط
يعتقدون أنه الفناء يجب تبقئ عذراء حتى ازواج فان ٤٦٪
يعتقدون أن ينبغي لها أن تحتفظ على عذريتها إلى أن تجد شاباً يحبها
حقيقة . هكذا وعلى اكثرية هؤلاء الشباب، رغم رفضهم الكثير
من التقاليد الخلقية ، الارتباط الصميم القائم بين الاكتمال
الجنسي من جهة والحب من جهة اخرى ، هنا لا بد أن نشير الى
الابعاد التي تتجلى فيها الخبرة الجنسية اذا نظرنا اليها بتعمق في

ضوء الإيمان . قلت أن الجسد إذا انفلق على نفسه فمثل في مسعاه
 الجنسي والآن نضيف أن ذلك الفشل إنما هو صورة عن
 الموت وعبارة الموت ، في الكتاب المقدس تشير كما هو معلوم
 إلى كل أنواع الفشل . وبالفعل فإن الجسد المنفلق لسد
 حاجاته سائر إلى الموت الذي سينهى تلك الحاجات كلها التي
 لم يكن لها من مبرر سوى المحافظة على استمرار هذا الجسد في
 الوجود الترابي . لا بل أن فرويد يقول لنا بعمق أن إزالة
 القوى التي تدعو إليها حاجات الجسد إنما هي عودة إلى سكون وجمود
 المادة كما كانت قبل الحياة ، وأن ما يدفعنا بالتالي إلى بلوغ اللذة
 من خلال إزالة التوتر إنما هو غريزة الموت ، العاملة
 لا شعوريا في أعماق جسدنا هادفة إلى رده إلى الوضع
 اللاعضوي . كل ذلك جرى بأن يؤكد لنا أن جسد الحاجة
 المنهك في إزالة توتراته إنما هو سائر حتما في طريق الموت .
 هذا ما يلتقي بنظري مع الكلمات الكتابية ، اللحم والدم ان يرث
 ملكوت السموات ، وأيضا ، الأظعمة للجوف والجوف ، الأظعمه
 والله سيبيد هذه وتلك ، فالجوف أبلغ رمز للجسد الاستهلاكي
 المنفلق على قضاء حاجاته والذي سيزول وإياها ، لأنه من التراب
 وإلى التراب يعود ، . أما إذا تخلى الجسد ذاته باتجاه الآخر
 فإنه يتسكّر لمحدودية حاجاته ويخرج من عزلته ويتصل بتيسار
 الحياة الشاملة بإصاله بالآخر . وإذا اتصل بتيسار الحياة فإنه

يتصل من حيث يدرى أو لا يدرى بالله مصدر الحياة . باندفاعه
في طريق الحب ينصل بالله ، ألف الحب وياؤه . بهذا المعنى يقول
المطران جـ ورج خنزر أن ملتقى العروس بالعريس كمثل لقاء
صميمي إنما هو هجرة إلى الله . بتلك الهجرة ، بذلك الخروج ،
ينجو الجسد من قوفعه ، يتخطى وضعه . جسد الموت ، الذي
كان يشكو الرسول منه لينطلق منذ الآن في رحاب القيامة ،
إنما هو صورة ومقدمة لجسد القيامة لأن المحبة هي طريق
القيامة الوحيد . نحن نعلم أننا إنقلنا من الموت إلى الحياة
لأننا نحب الإخوة . . هنا يتجلى السر الفصحي الذي تتحمله
وترجمه كل خبرة إنسانية أصيلة . الجسد الجنسي يموت عند
محدودية الحاجة التي تشتهي الآخر لتستهلكه وتملكه . فينجو
بذلك من قوفعه العزلة الخيفة . ويتحول إلى جسد رغبة ،
منفتح على الآخر وعلى الله . فيجد الحياة والفرح ويدوق شيمنا
من طعم الأبدية .

من هنا نفهم أيضا لماذا نستحضر الكنيسة في الزواج ،
وهو الإطار الطبيعي للحب البشري المكتمل ، الرب المصلوب
والنادض من بين الأموات ، لترد الحب البشري المتمش إلى
نموذجه الفصحي ، نموذج الحياة الظاهرة على الموت بالموت
وتأنيته في خط القيامة .

(٦) الخلاص هو في انفتاح الجسد الجنسي لا في محاولة الغاء :

لكن إيماننا بالقيامة، بقيامة الأجساد، يقتضى أن يكون، ووقفنا من الجسد، موقف اعتبار وتعمد لا موقف تنكر ورفض لنا كان لابد لنا في نهاية هذا الحديث الاشارة إلى انحراف بهدونا . فإذا كان انغلاق الجسد الجنسي على ذاته وتقوقعه الزحسى ضمن دائرة حاجاته ومقوماته عن عدم نضج على الصعيد النفسى أو الروحى أو كليهما معاً، وإذا كان هذا الموقف يحكم على هذا الجسد بالفشل فى بلوغ امنيته العميقة ألا وهى التحرير من عزلته والاتصال ببقى الحياة ، فهناك موقف لا يقل خطراً عن هذا وليس بأقل من منه بعداً عن النضج ألا وهو محاولة الغاء الجسد بما يحمله من نزعة جنسية والنصرف كأنه غير وجود أو كأن وجوده عرفى لا يمت بصلته إلى جوهر الإنسان . تلك هى « الملائكة » التى كثيرا ما تستر بتبريرات دينية لتخفى وراءها عوامل لاشعورية بعيدة كل البعد عن روح الانجيل .

تلك العوامل التى يقتضى تحليلها بحثاً طويلاً قائماً بذاته ، يمكن ردها فى آخر المطاف الى علاقة الجنس بالموت واثلك العلاقة عدة وجوه أذكر منها فيما يلى اثنين :

فمن جهة ، يعنى القول الصميمى للجنس أن يقبل على أنه
أخذ الحياة من السلف لينقلها الى الخلف وبمباراة أخرى
أنه مجرد ناقل للحياة اعطيت له ولكن ليست له الحياة فى ذاته
أى انه ليس الله .

ومن جهة أخرى فقبول الجنس يعنى أن يقبل الإنسان أنه
ليس كاملاً بحد ذاته ، إنما لا يكتمل إلا بآخره . أن يقبل بأنه كان
منفصل (هذا الانفصال هو المدلول الاصلى لكلمة Sexe)
لا يحقن كماله إلا باتحاده بآخر ، وبأنه لكي يبلغ هذا الاتحاد
يجب أن يتخطى ذاته ، أن يخرج من ذاته ، أن يمر إذاً بخبرة شبيهة بخبرة
الموت (عبارة دخروج ، فى الكتاب تشير الى الموت) ولكن ارتباط
الجنس بالموت أمر مربع بالنسبة لترجمية الإنسان ، تلك الترجمية
التي هى من رواسب الطفولة فيه .

فالطفل فى أول عمره يشعر بسبب عدم نضجه من جهة
واهتمام الآخرين الدائم به من جهة أخرى ، كأن جسده مركز
الكون ومحوره ، إنه لا يدرك حدود هذا الجسد الزمنية ولا
المكانية ولا يميزه كغاية عما يحيط به لذا يشعر وكأن هذا الجسد
يحوى فى ذاته الوجود كله ويتحكم بالكون فاطبة ، ذلك ما لاحظته
أحللون النفسيون فى تحريمهم لرواسب الطفولة فى نفسية مرضاهم ،

وهذا ما أكدته بوسائل أخرى، ملاحظة الاطنال المباشرة التي
أجرها بياجيه Piaget ومدرسته، مثلا ان اكتشاف الجنس
الذي يتجاوز في المرحلة الأوديبية اولا (بين الثالثة والسادسة
من العمر) ثم في المراهقة ، مرادف والحالة هذه لإكتشاف
محدودية لا يكتمل إلا بجسد آخر متميز ومختلف عنه .

لكن المهم أن يتعهد المرء هذا الإكتشاف وأن يقبل به، إلا أن
هذا القبول مكتنف بالصعوبات . ألم تظهر المحللة النفسية هيلين دوتش
في كتاب حديث لها عن مشاكل المراهقة ان ظاهرة الغاء الفوارق في
الزى والمظهر في جماعات المراهقين قد تشير الى محاولة لاشعورية
لطمس الفارق الجنسي، ذلك الفارق الذي يؤكد محدودية الجسد
وبالنالي يشير جزع الموت |

فإذا قبل المرء بمحدودية جسده أو بعبارة أخرى اذا قبل
بالموت ، فعند ذلك يمكنه ان يتخطى ذاته ليلاقي آخر ، عند
ذاك يصبح قادرا على إقامة علاقة صميمية بالآخر سواء على
الصعيد الجنسي أو على صعيد أنساني . ولكن المرء قد يتهمسك
لا شعوريا بترجسيته الطفلية بذلك الميل الى اعتبار ذاته محورا
للكون ، عند ذلك يبدو له الجسد، بنزعة الجنسية وطابعه الجنسي
خطرا عليه لانه يذكره بأنه بانص ، منفصل ، محدود، وعبارة
إجمالية يذكره بأنه مائت ، لذا يمكن القول بأن الخوف من الجسد

هو في الأعماق خوفاً على الجسد ، رفض الموت الذي لا بد للجسد أن يمر به . قد يتخذ هذا الخوف شكل التزمت ، شكل احتقار الجسد بداعي روحانية مزيفة ، وقد يتخذ أيضاً شكل النهك ، شكل حصر العلاقات الجنسية بمظاهرها الأكثر سطحية كي يلزم الفرد بها ويخرج من ذاته . ولكن هذا الخوف من الجسد (أو على الجسد) أيا كان مظهره ، يعقم على كل حال في المرء طاقة الحب . كل حب . الحب بمعناه الجنسي ، المحبة الإنسانية بشتى مظاهرها ، محبة لله نفسها . إنه يؤدي إلى تقوقع يمنع الجسد من يخطئ ذاته في اتجاه الكون والآخريين وبالتالي يجعل الإنسان على هامش الحياة الحقيقية . إنه يحقق لك المفارقة الرهيبة ألا وهي أن الإنسان يحجم عن الحياة لأنه يخاف من الموت الذي هو بعد من أبعادها . أن يعلق على نفسه في الموت خوفاً من المرات بما يذكرنا بما تقوله الرسالة إلى العبرانيين عن الذين من خوف الموت كانوا كل حياتهم تحت العبودية . فإذا اتخذ خوف كهذا مظهر الملاذكية وفلاذسكيتته ، لا ترفع عن الجسد إلا في الظاهر لأنها بلواقع تخدّم مصالح الجسد ، الجسد الذي يأبى أن يقر بحدوديته ، فينغلق على ذاته ليحافظ على حمله الطفلي القديم ، حلم الألوهه الذاتية .

هذا ما يتجاوب على ما أظن مع أقوال الرسول عندما يحذر
مسيحي كولومبي من التزم قائلهم : تلك هي وصايا الناس
وتعليمهم افسد يكون عليها ظواهر الحكمة بعبادتها المصنعة
والتواضع ، وفهر الذات ولكنها لا فيمنه لها ولا تقول إلا إلى
إيضاه الجسد (كولومبي ٢ : ٢٢-٢٣) .

بجمل الكلام أن ما يسمى بالاستسلام للجسد أو ما يسمى
باغفال الجسد واحتماره إنما هما كلاهما في كثير من الأحوال
وجهان متضادان لواقع واحد . وافع الرجسية التي ترفض
القبول بمحدودية الجسد وبجأته إلى الآخر كي يكتمل ويحيى .
كلاهما يلغى وجود الآخر ، يحول دون رؤيته حضور الآخر
الشخصي في جسده ، فالماجن لا يرى في جسد الآخر سوى شيء
يملك والمتزم لا يرى فيه سوى خطأ يمتنب ، كلا المراقبين
مظهر لتلك المحاولة التي عبر عنها الكتاب عند مرده لحادثة
سقوط الجدين الأولين ، محاولة تأليه الذات بمزل عن
الآخر .

خلاص الجسد الجنسي لا يكن إذاً لا في المجهون ولا في
الزمت . إن الحب الجنسي الاصيل يماشى في الزواج سرراً لكي

يزرع في صميمه قوة صليب الرب وقيامته فتساعده على الاستمرار والنمو في طريق الحب الذي ما هو إلا موت محيي . في الزواج يتمرس الجسد الجنسى على تخطى الحاجة ، اتى تدفع إلى استهلاك الآخر ، إلى الرغبة ، التي تعترف بوجوده واستقلاله وذلك عبر الحياة المشتركة وما تقتضيه من جهاد قاس أحياناً تدعمه النعمة الإلهية من أجل اعتبار الآخر غاية وليس وسيلة ، شخصاً وليس شيئاً ، شريكاً وليس ملكاً وإله . للقاء الأجساد دور لا يستهان به في مسيرة الحب هذه فهو يترجم الحب الزوجي بأبلغ ما يمكن من تعبير ويدعمه ويغذيه . ولكنه بدوره لا يكون لقاء بالفعل ولا ينجو من النفاهة والرتابة القتالين ، إلا إذ أغتذى من الحب باستمرار وعبر حركة المكاشفة والمشاركة والعطاء المتبادل في كافة ميادين الحياة الزوجية .

(٧) العفة المكرسة :

ولكن هناك طريقاً أخرى سار فيها الرب أولاً في حياته بالجسد ورسمها نموذجاً لكثيرين سلكوها من بعده إنها طريق العفة المكرسة . تاريخياً أحاط بهذا الطريق كثير من الإلتباس ولا يزال إلى الآن وليكنها في أعمالها الإنجيلية بعيدة كل البعد عن ذلك الذي كان غريباً عن حياة السيد ، بعيدة كل البعد عن

ذلك التزم الذي تصدينا له وسميناه ، بالملائكية ، . . بعيدة كل
البعد عن حياة السيد كما يتضح في علاقاته الحرة الصافية المتفهمة
بالنساء .

إن المكرس حقاً لا يحاول أن يتجاهل وجود جسده
الجنسى لأنه يعرف أنه وضعه الإنسانى الراهن . إن الله وحده
ترفع عن الجنس لأنه وحده كامل بذاته ، إنما يجتهد المكرس
حقاً ، بنعم القيامه التي زرعت فيه والتي يستمد بها تواضع وحرارة ،
أن يتجاوز قدر المستطاع عنصر الإنغلاق في هذا الجسد لكي
تتحقق على أكمل وجه طاقات الإنفتاح الكامنة فيه . . لأنه يتخلى
عن الحب الجنسي لا لكي يكتفى بذاته ويتملك ذاته ويحتفى في الآخر
بل لكي يتجاوز فيه حبه ، قدر الإمكان ، كل اكتفائه وتملك
وخوف . إنه لا يتخلى عن إقامة علاقة خاصة بزوجه وعائلة
إلا لكي يكون قلبه منفتحاً لكل متقبلاً لكل معطياً للجميع .
انه لا يحاول بر الجنس فيه هذا أمر مستحيل ولا يتنكر له
ولكنه يتخلى عن الممارسة الجنسية يسير في طريق إعلاء الجنس ،
إلى تحريره قدر الإمكان من عنصر الإنطوائية الكامنة فيه ، هذا
الإعلاء الذي وضعه لنا التحليل النفسى ، عملية غامضة تجرى إلى

عد بعيد بشكل لا شعوري ولا إرادى . . لذا فالمكرس حقا
لا يعتمد على إرادته بقدر ما يعتمد على إنفتاحه المتواضع لذلك
الحب الإلهى ، ألف الجنس ويائه الذى ظهر لنا فى يسوع المسيح
جسدا ظافرا على الموت بمروره الطوعى فيه . نحن نؤمن ان
جسدنا الجنسى الذى هو وضعنا الراهن على هذه الأرض قد
طعم بالمعمودية على جسد الحب لأنه أخلى ذاته بالموت متخليا
عن كل تملك لذا فسيئنا سواء سلكنا طريق الزواج أو طريق
العفة المكرسة ، أمارسنا العلاقات الجنسية أو لم نمارسها ، أن
نجمال أجسادنا فى درب الحب كى يحولها الرب ويجعلها على
صورة جسده ، أجساد قيامة ، ومساكن لله .

ملخص الكتاب

١ - يحدد الكتاب مفهوم الجسد بأنه الشخص ككل ويستنكر الفصل بين البدن والنفس وينظر إلى الإنسان كوحدة متفاعلة .
فالجسد واقع حياة الإنسان في أبعاده البيولوجية والنفسية والاجتماعية والروحية المتفاعلة معا في وحده كيانية .

٢ - أن الجنس وإن كان يظهر بوضوح في التكوين البيولوجي فإنه يتعدى الأعضاء التناسلية ليشمل تركيب خلايا الإنسان وافرازاته الهرمونية وكيان الجسد ككل .

بل أنه ينظر إلى الجنس على أنه نمط وجود وأسلوب تصرف فهناك وجود رجولي ووجود أنثوي وان العوامل النفسية والاجتماعية وخاصة في السنين الأولى من عمر الإنسان تحدد مصير الجنس عند الإنسان .

٣ - الإنسان في جنسيته (أو ما يسميه الجسد الجنسي) يتخذ أحد موقفين إما موقف الإنطلاق أى موقف الانانية والتمركز حول الذات أو موقف الإنفتاح أى موقف الحب

والبذل والعطاء وتجاوز الذات وهو يقرر أن موقف الإنفلاق
يفشل في تحقيق المنفعة المرجوة بل على العكس يعمق العزلة ويدفع
شعور الإنسان إلى مزيد من اللذة الحسية هذه التي قال عنها
الإنجيل كل من يشرب من هذا الماء يعطش . . أما موقف
الإنفتاح والحب فهو وحده الذي يعطى لذة ذات بعد أعمق
وأشمل ويقدر أن يسد الآخر الذي يثبتته الحب الحقيقي .

٤ - يضغط المواقف بشدة على رفض تشييء الآخر أي جعله
مصدر لذة فقط أو ملهية ، ويؤكد أن الجنسية في الإنسان لا تبلغ
غايتها إلا بالحب والحب هو تخطى الجسد ذاته باتجاه الآخر
وانه في اندفاعه في طريق الحب يتصل بالله الذي هو ألف الحب
ويأوه ، والحب وحده هو أمل الإنسان في الخلاص من العزلة
وهو الوسيلة الوحيدة لتخطى وضع جسد الموت لبلوغ عربون
جسد القيامة . فالمحبة هي طريق القيامة الوحيد .

٥ - يستنكر الكاتب التدين المريض الذي يحاول إلغاء
الجسد ورفضه واحتقار الجنسية في الإنسان بدعوى الملائكية
لأن هذا الرفض فيه كبرياء خفية وهي عدم قبول الإنسان
لنفسه كناقص .

٦ - ومن المصاحات والالهامات الروحية التي يبرزها الكتاب ان
الجسد يؤكد محدودية الجسد مما يثير جزع الموت وهذا الخوف
يتخذ شكلين أما الشكل الما جن الذي يلقي نفسه في دوامة للذرة
الجسدية أو شكل المتزمت الذي يحتمل الجسد بداعي روحانية
مزيفة وكلا الموقفين وجهان متضادان لواقع واحد وهو تمرکز
الانسان في ذاته ووجهه تحت مخافة الموت والحيل الوحيد أن
يتخطى الانسان هذه الإنفلاقية الى طريق القيامة اما بالحلب
الجسدي الاصيل كما في سر الزبيجة أو بالتكريس الكامل في البتولية
المكرسه للحب الالهى التي هي صورة مسبقة للحياة الملكوتية
التي فيها لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كلائكة الله .

خاتمة

[أهم المبادئ والاتجاهات الفكرية
التي جاءت في كتابات المفكر العربي
الاستاذ كورتى بندلى - عضو حركة
الشميلية الأرثوذكسية بسوريا
ولبنان - عن موضوع الجنس] .

(١) أن الجنس في الإنسان ليس مجرد حاجة بيولوجية بحتة
ولأنما هو ككل حاجات الإنسان - وبالأخص الجنس -
مرتبط بنوع خاص بالشخصية ككل فهو يتأثر إلى حد
بعيد بالعوامل النفسية والاجتماعية .

(٢) أن الجنس في الإنسان يهدف إلى إقامة شركة مع الآخرين
فالعمل الجنسي هو أساساً عمل اجتماعي . فالجنس عند
الإنسان يعنى ما هو أبعد من زوال التوتر العضوى ،

إنه ينبغي الإتصال بالآخر . فالإنسان يشكو دائماً من العزلة وهو يسمى من خلال سلوكه الجنسي الى ازالة تلك العزلة باتحاد كامل بكائن آخر يكمل نقصه .

فالنزعة الجنسية تدفع الرجل والمرأة أحدهما نحو الآخر بغية أن ينصهرا من خلال تداخل الأجزاء في لقاء صميمي ما بعده لقاء .

(٣) فرادة الإنسان في أنه يدرك ذاته ويدرك الآخر ويدرك الجنس . لذا لم يعد نشاطه الجنسي مجرد أداة لاستمرار النوع بل أصبح مستخراً لأهداف الذات الإنسانية . والجنس من حيث أنه نزعة إتحادية لا يستطيع أن يبلغ مرء إلا بتأكيد شخص الآخر .

(٤) الجنس في الإنسان هو—د دائماً بان يطبع بالطابع الإستهلاكي وهو اتخاذ اللذة غاية . وتشبه الآخر أى اعتباره شيئاً لا شخصاً ، ومتعة لا شريكاً ، ووسيلة وليس غاية ، وملهة وليس مسئولية .

هكذا برّ الجنس عند الأباحين من بعده الإتحادي وأعتبر مادة تستهلك كما يستهلك الكحول . وأصبح

الإنتصال الجنسي سهلاً للغاية ولا للذاتية ولا لكونه أصبح
تافهاً أيضاً إذ أفرغ من معناه الانساني العميق . . معنى
اللقاء بالآخر . وهذه المفاهمة جردت العمل الجنسي من
كثافته وأفقدته زحمة العاطفة وحولته إلى مجرد انفاضة
أجساد لا فرح فيها وحتى لا لذة حقيقية .

(٥) بالحب وحده يصل الجنس الإنسان بالآخر مع المحافظة
على استقلال كل من الشريكين . . الحب لا يبطل أهمية
العلاقة الجنسية ولا يسهلها بل يجعلها أصعب : أنه لا يبطل
اللذة ولا يسهلها بل يجعلها أصعب . بالحب وحده تتخذ العلاقة
الجنسية كل أبعادها لأنها تصبح لغة تخاطب .

(٦) ميزات الحب أنه يعتبر الآخر مهما بحد ذاته ويكشف
الآخر في فرادته ويتمده في بعده الزمني إذ يتجلى الفرق
بين الحب والمجون . فالحب يرسم في الزمن أما المجون
فهي اللحظة . الحب الحقيقي شيمته الإستمرار لأنه تركيز
على اللقاء لأهل اللذة .

(٧) هذا الحب الذى به يحقق الجنس مرماه الإنسانى الإلهامى هو ما يعطى الجنس قيمته الحقيقية . . والحب لا يتحقق إلا فى إطار النضج ومعايير النضج هى الانتقال من عشق الذات إلى حب الآخر والانتقال من مركزية الأنا إلى الاعتراف بالآخر والانتقال من الاستيلاء إلى العطاء .

(٨) الزواج إطار الحب لأنه وعقد يكرس أمام الملائمات الحب الأساسية ولأنه ممكن نمو الحب وتعميقه ولأنه ممكن خصب الحب . ولكن الزواج لا يحافظ على إصائه إلا إذا بقى فى إطار الحب وتعبيراً عنه . هذا الإطار لا يستمد قيمته إلا من المضمون . الخطر الذى يهدد الزواج بالزوال أو بفقدان خيواه العميق هو اعتباره عقداً يعطى كلا من الزوجين حق الملكية على الآخر .

(٩) العفة مرتبطة بالحب ارتباطاً وثيقاً والفرق بين العفة الحقة والعفة الزائفة أن هذه تخاف من الجنس وملئمة بالكبت بينما العفة الحقة هى تمهد واع للجنس وتخطى الخوف واتجاه أصيل إلى الآخر وامتناع عقلى ووجدانى وتعبير عن التزام كيانى حر .

(١٠) العفة قبل الزواج هي رفض التفريط بالجنس عن ممارسته خارج إطاره الإنساني الكامل؛ وهي في الزواج تتحدد بأن يكون العمل الجنسي معبراً عن الإهتمام الكلي بالآخر فالزواج بتدانس إذا أصبح اتحاد الزوجين الجسدي مجرد لإشباع غريزي حيواني لحاجة جسدية بحثة ، وإذا تحول هذا الاتحاد إلى عملية آلية اغتياضية، وإذا أصبح السعي وراء اللذة هدف الزوجين الوحيد في جماعهما أي إذا أصبحت اللذة صنماً وهو سداً عوضاً أن تكون تعبيراً عن المحبة المتبادلة .

(١١) تربية العفة تتحدد في قبول الجنس وضبط الزعة الجنسية بغية إخضاع زخمها الفريزي للقيم الإنسانية وتنمية الإلتجاء إلى الآخرين وتخطي الرجسية الفريزية في الإنسان وذلك خلال التربية العائلية والمدرسية والدينية .

(١٢) الله متعال على الجنس لأنه كامل في ذاته ، والجنس في إصالة مكان حضور إلهي إذ يقول ذبي الفم ، عندما يتحد الزوج والزوجة في الزواج لا يظهران بعد كشيء أرضي بل كصورة الله نفسه ، ويقول ثيوفيلوس

الإنطاكي أن الله خلق آدم وحواء ليحقق الحب الأكبر
بينهما عاكسين مر الوحدة الإلهية . الحب يحقق إذا
- في وحدة المحبين - صورة الثالث فيهما
أيقونة الله .

(١٢) من عاش العفة المكرسة على حقيقتها لا يغلق قلبه دون
الحب ، إنما يعرف الحب من ينبوته الإلهي ويتبع به
وسط جهاده . إنه يحس بأنه على هامش الحياة مقصي
عن الحب بل يختبر اتصالاً بمن هو ملء الحياة والحب .

رقم الايداع ٤٦٣٨ / ١٩٧٣

يطلب من
المكتبة المرقسية بملوى — ص. ١٣ ب
وجميع المكتبات المسيحية